بسم الله الرحمن الرحيم

[مقتل الحسين رضي اللّه عنه والحقائق الغائبة]

الحمد لله وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على طريقهم إلى يوم الدين .

أما بعد فهذه كلماتٌ في موضوع مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما ابن بنت نبي الله ﷺ، وأحد سادات المسلمين ، علماً وعملاً وشجاعة ونبلاً.
وموضوع مقتله من الموضوعات البارزة في تاريخ المسلمين ، والكلامُ حوله يطول ، ولكن سأعرض له بحول الله تعالى من خلال الفِقرات الست الآتية:

الفِقْرة الأولى : بين يدي الموضوع .

لابد من الإشارة إلى أن ثمة حقائق كبيرة غُيِّبت عن الناس تتعلق بمقتل هذا الشهيد رضي الله عنه ، فكان من الأهمية بمكان أن تُبرز هذه الحقائق ، لتنتفع بها الأمة اليوم ، فإن هذا الحدث ضخم جداً ، واستمر ذكره يتردد في الأمة ، رغم تعاقب القرون عليه .

ولكنّ المؤسف أن هذا الحدث تُبرز منه جوانب معيَّنة وتُغيّب جوانب أخرى ، مع ما أضيف إليه من الأكاذيب التي لا أصل لها ، فصار هذا الحدث يُعرض في الغالب بطريقة غير منصفة ، وكل حدث تُغيّب منه جوانبه الرئيسة يظل غير متضح ، فلا تُستخلص منه العبر كما ينبغي .

بل إن مقتل الحسين رضي الله عنه بالذات قد قُلب على كثير من الجهال ، فبدلاً من أن يعوه وعياً سليماً وينتفعوا بما فيه من العِبَر صاروا يُسيَّرون بكل أسف في طريق معاكس مضادّ للانتفاع والاعتبار ، فهم كما أورد الحافظ ابن

كثير: عندما فسر المراد بقول الله (**كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا**) الآية .

فإن ابن كثير أوضح أن هذا المَثَل يراد به الجهال من أهل التقليد ، ثم قال: : كما يقال في المثل للجاهل : أين تذهب ؟ قال : معهم ، قيل : فإلى أين يذهبون ؟ قال : لا أدري.

وهذا منطبق على كثير من الخائضين في موضوع مقتل الحسين ، فإنهم لا يدرون بحقائقه الكبار ، لا من جهة من تسببوا في مقتل الحسين ، ولا من جهة الصادقين الذين سعوا بكل ما أمكنهم لمنع وقوع هذا المصاب الجليل ، ولا من جهة كثير من الأحداث التي اكتنفت هذه الجريمة ، مما لا يمكن العاقل معه أن يبني موقفاً دقيقاً من موضوع مقتل الحسين إلا إذا تكاملت عنده هذه الأمور مجتمعة .

ولذا تجد أهل الجهالة يتبنون المواقف حيال هذا الموضوع من جهة من يحسّنون بهم الظن ، ممن خلطوا الغث بالسمين ولم يُمحصّوا الحقائق.

ومن هنا صار هذا الموضوع محلّ خلط وخبص كثير من غالب من تكلموا فيه للأسف .

والباحث في هذا الموضوع يحتاج إلى شيء من التأني والتمحيص ، لكثرة ما خُلِطَ فيه بين الحق والباطل والصدق والكذب .

قال ابن حجر لما ساق خبر مقتل الحسين رضي الله عنه : صنَّف جماعة في مقتل الحسين تصانيف فيها الغثُّ والسمين والصحيح والسقيم .

ونبه ابن كثير عند سوقه روايات مقتل الحسين إلى أن في صفة مصرعه رضي الله عنه كذباً كثيراً وأخباراً باطلة .

ولعلِّي أورد في هذه المحاضرة شيئاً من هذه الروايات للتنبيه على بطلانها .

الفقرة الثانية : **<u>في سرد خبر مقتله رضي الله عنه موجزاً</u>**:

سأسرد بعون الله خبر مقتله في البنود الأربعة الآتية :

<u>البنـد الأول :</u> فـي ذكـر مكانـة الحسـين ﵁ فـي النصـوص وعنـد السـلف الصالح.

روى المصنفون في كتب السنة وكتب الاعتقاد المسندة عدداً من النصوص في فضله رضوان الله عليه ، من أهمها ما رواه البخاري من حديث أسامة أن النبي ﷺ قال في الحسن والحسين : " **اللهم إني أحبهما فأحِبَّهما** " .

كما روى البخاري عن ابن عمرب أن النبي ﷺ قال في الحسن والحسين : "**هما ريحانتاي من الدنيا** " . وروى أحمد عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : " **الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة** "

وكان الخلفاء الراشدون يجلّون الحسن والحسين ويحفظون لهما مكانتهما ، فهذا عمر﵁ على سبيل المثال كان يكرمهما ، ويحتفي بشأنهما .

ففي العطاء كان يعطي الحسن والحسين كما يعطي أباهما عليًّا﵁ ، وهو عطاء المهاجرين ، وهو أعلى عطاء فَرَضَه عمر للصحابة ن ، ومقداره (خمسةُ آلاف) مع أن الحسن والحسين إنما ولدا في المدينة ، ولم يكونا من المهاجرين .

وعبد الله بن عمر قد هاجر من مكة ، إلا أن عمر﵁ أنقص ابنه عبدالله (خمسمائة) من عطائه وقال : إنما هاجر به أبوه . مع أن ابن عمر كان أكبر سناً من الحسن والحسين ، وحُكمُه حكم المهاجرين

وجيء مرة بحُلل (وهي الثياب الجياد الجديدة) فقسمها عمر بين أبناء الصحابة ن ، لكن لم يكن في تلك الثياب شيءٌ يصلح للحسن والحسين ،

فبعث عمر إلى والي اليمن فأتي بكسوة لهما ، فقال عمر : الآن طابت نفسي .

والنصوص ومواقف السلف في هذا كثيرة ، وقد عرضتها في محاضرة: [أهل البيت عند أهل السنة]، فليراجعها من شاء .

وهي في هذا الموقع على الرابط (http://www.al-angarie.com/)

البند الثاني :

في المكان الذي كان يقيم فيه الحسين قبل قتله ، وبيان كبر قدره عند الناس فيه.

كان الحسين يقيم بمدينة النبي ﷺ ، فلما بويع يزيد بن معاوية بالخلافة عام ستين امتنع من بيعته ثلاثة هم : الحسين وعبد الرحمن بن أبي بكر وابن الزبير .

فكتب يزيد إلى والي المدينة يأمره أن يأخذ البيعة من الحسين وابن الزبير ، ووصل الكتاب لوالي المدينة في نصف الليل فطلب من الحسين وابن الزبير البيعة ، فطلبا منه أن يمهلهما بعض الوقت ، فأصر بعض بني أمية على الوالي ، ليرغمهما على البيعة في الحال فأبى الوالي ، وأمهلهما . ثم إن الحسين وابن الزبير ن خرجا من المدينة ليلاً ولم يبايعا ، واتجها إلى مكة ، فأقاما بها .

بعد أن قدم الحسين إلى مكة عكف الناس عليه يستمعون كلامه ويجلسون حوله ، أما ابن الزبير فإنما كان واحداً من المترددين عليه ، ولا يمكنه أن يحرك أي ساكن ، لما يعلمه من إجلال الناس لابن بنت النبي ﷺ وتقديمهم إياه على غيره ، فليس عندهم يومئذ من يساويه أو يساميه .

ولهذا فإن الحسين لما خرج من مكة إلى الكوفة أرسل والي مكة : عمرو بن سعيد ابن العاص وفداً إلى الحسين ، ليثنوه عن عزمه ، ولكنه رفضﷺ. فما الذي جعل هذا الأمير لا يقبض على الحسين ؟

الذي يظهر والعلم عند الله أن الأمير يدرك أن من الصعوبة بمكان أن يُقبض على الحسين بمكة ، لما له من عظيم القدر عند أهل مكة.

والسبب الذي حمل والي مكة على عدم القبض على الحسين هو الذي حمل والي المدينة على رفض طلب بعض بني أمية أن يجبر الحسين على البيعة في الحال ، وذلك لما للحسين من الموقع الكبير في المدينة ، فليس من السهل أن يُجبر ، لأن الناس لن يرضوا أن يُجبَر الحسين على ما لا يريد .

وقارن هذا الموقف من أميري مكة والمدينة بما حصل لا حقاً على يد أمير الكوفة ، لتعرف الفرق ، مما سنذكره في موضعه بحول الله .

<u>البند الثالث :</u> في توافد أهل العراق وكتبهم إلى الحسين بمكة .

لما علم أهل العراق انتقال الحسين إلى مكة كثرت مراسلاتهم إليه ، يدعونه إلى المجيء إليهم ، ليبايعوه ، بدلاً من يزيد بن معاوية ، وذكروا في مكاتباتهم أن السُّنَّة عندهم قد أُميتت ، وأنهم ليس عليهم إمام ، فأَقْبِلْ لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق .

ثم جاء إلى الحسين في مكة أكثر من وفد من العراقيين يحثونه على المسير إليهم ، وجاء في بعض الروايات أن عدد المبايعين الذين كتبوا إليه من العراق يزيد على مائة ألف .(تأمل معي كثرة هذه الأعداد ، وشدة إلحاح أهل العراق على الحسين).

عند ذلك بعث الحسينُ ابنَ عمه مسلم بن عقيل ، ليكشف له حقيقة أمر أهل العراق ، وأَمَرَه أن يكتب له بحالهم ، فإن كتب إليه أن هذا الذي كاتبوه به قد أجمع عليه رأي ملئهم وذوي الفضل منهم انتقل الحسين إلى العراق .

سافر مسلم بن عقيل رسول الحسين إلى الكوفة ، ونزل على هانيء بن عروة فجاء إليه أهل الكوفة ، فبايعوه على إمرة الحسين ، وحلفوا له لينصرنّه بأنفسهم وأموالهم ، وبلغ عدد المبايعين (ثمانية عشر ألفاً) .

فلما رأى مسلم منهم هذه البيعة الموثّقة بالأيمان كتب للحسين ، ليقدم عليه فقد تمهدت له البيعة ، وذكر له في كتابه أن الكوفة ليس دونها مانع .

انتشر خبر هذه المبايعة حتى وصل أمير الكوفة النعمان بن بشير الصحابي الجليل ﵁، فضرب عن الموضوع صفحاً ، وجعل لا يعبأ به ، لكنه خطب الناس ونهاهم عن الاختلاف وحذرهم منه ، وأمرهم بالائتلاف .

فقام إليه رجل حضرمي فقال : إن هذا الأمر لا يصلح إلا بالغَشْمة (يعني : بالظلم) وإن الذي سلكته أيها الأمير مسلكُ المستضعفين ، فقال النعمان ﵁: لَأن أكون من المستضعفين في طاعة الله أحب إليَّ من أن أكون من الأعزِّين في معصية الله ، وما كنت لأهتك ستراً ستره الله .

فكتب ذلك الحضرمي إلى يزيد بن معاوية في الشام يخبره بما وقع ، كما كتب إلى يزيد عمرُ بن سعد وغيره ، فعزل يزيدُ النعمانَ عن الكوفة ، لأنه خاف أن لا يقوم النعمان على الحسين، وضم يزيدُ الكوفة إلى عبيدالله بن زياد الذي كان والياً على البصرة .

وعبيدالله هذا شاب مُتسرّعٌ في سفك الدماء ، به طيش وظلم وعجلة ، فقدم الكوفة ، ونزل قصر الإمارة وأمر منادياً فنادى: الصلاة جامعة ، ثم خطب الناس ورغّبهم ورهّبهم . وأمر عرفاء الكوفة أن يكتبوا من عندهم من أهل

الخلاف ، وأيما عريف لم يطلعه على ذلك صُلِب أو نُفي وأسقطت عرافته من الديوان .

وبدأ هذا الوالي في البحث عن مسلم بن عقيل رسول الحسين ، فتوصل بحيلة ماكرة إلى الموضع الذي يقيم فيه مسلم ، وهو دار هانيء بن عروة . فاستدعى هانئاً وطلب منه أن يأتيه بمسلم فأبى هانيء ، فضربه عبيدالله بحربة على وجهه فشجّه وكسر أنفه ، ثم حبسه ، فسمع بذلك مسلم بن عقيل فاتجه بأربعة آلاف من أنصاره إلى قصر الوالي عبيدالله وحاصره ، وكان عند عبيدالله أمراءُ القبائل بالكوفة فوعدهم ابن زياد العطايا ، وطلب من كل أمير قبيلة أن يُخذّل جماعته ، فأشرف أولئك الأمراء من قصر الإمارة ، وأشاروا إلى قومهم بالانصراف عن مسلم وتهددوهم ، فخذّلوهم عن مسلم ، وجعلت المرأة تأتي إلى ابنها وأخيها وتقول: ارجع إلى البيت ، الناسُ يكفونك ، فتخاذل الناس عن مسلم وانصرفوا عنه حتى لم يبق معه إلا (خمسمائة) ثم صاروا يتسللون حتى لم يبق معه إلا (ثلاثون) فصلى بهم المغرب ، فخرج في (عَشَرة) ، ثم انصرفوا عنه ، وبقي وحده ، ليس معه من يؤانسه أو يؤويه ، بل لم يبق معه من تلك الألوف أحدٌ يدلّه الطريق ، فإنه في بلد غربة لا يعرفها.

هنا ذهب مسلم على وجهه فاختلط الظلام وهو يتردد في الطريق لا يدري أين يذهب . فطرق باباً فخرجت منه امرأة عجوز هي أصدق من كل أولئك الذين تركوا مسلما رحمه الله فقال : اسقيني ماء فسقته ثم دخلت بيتها ، ولما خرجت وجدت مسلما عند بابها لم يفارق مكانه! . فقالت : اذهب إلى أهلك عافاك الله ، فإنه لا يصلح لك الجلوسُ على بابي ، فقال : يا أمة الله ، ليس لي في هذا البلد منزلٌ ولا عشيرة ، أنا مسلم بن عقيل ، كذبني هؤلاء

وغرّوني ، فقالت : أنت مسلم ؟! فأدخلته وعرضت عليه العشاء ، فلما جاء ابنها ليلا أخذت عليه تلك المرأة أن لا يُحدث أحداً بخبر مسلم .

كان عبيدالله بن زياد قد نزل من قصره حين تفرق الناس عن حصاره وصلى بهم العشاء وخطبهم في المسجد الجامع وطلب منهم إحضار مسلم بن عقيل ، وقال : من وُجِدَ عنده فدمه هدر ، ومن جاء به فله دِيتُه ، فذهب ابن تلك العجوز فأبلغ أحد أصحاب ابن زياد ، وهو ابن الأشعث ، فأبلغ ابن الأشعث ذلك الأمير فأرسل الشُّرَط إلى مسلم ، فلم يشعر مسلم إلا وقد أحيط بالدار ، فقاتلهم مدة إلى أن أعطي الأمان ، فاستسلم لهم فأخذوه وسلبوه سيفه فبكى ، فقال بعض من حوله : من يطلب مثل الذي تطلب لا يبكي إذا نزل به هذا ! فقال : أما والله لست أبكي على نفسي ، ولكني أبكي على الحسين وعلى آل الحسين، ثم التفت مسلم إلى ابن الأشعث وقال : إن استطعت أن تبعث إلى الحسين على لساني تأمره بالرجوع فافعل .

لما جيء بمسلم لابن زياد عنّفه بأنه أتى ليشتت الناس ويفرق كلمتهم ، فرد عليه مسلم قوله ، وبين له أن أهل الكوفة هم الذين كاتبوا الحسين وعرضوا عليه البيعة ، فحلف ابن زياد أن يقتله .

فقال مسلم : دعني أوصِ إلى بعض قومي ، فالتفت مسلم فإذا عمر بن سعد بن أبي وقاص فقال : يا عمر ، إن بيني وبينك قرابة ، ولي إليك حاجة وهي سِرّ ، فقم معي إلى ناحية القصر ، فأوصاه بوصايا ، أهمها قوله: ابعث إلى الحسين فإني كنت قد كتبت إليه أن الناس معه ، ولا أراه إلا مقبلاً ، وذكر مسلم في وصيته الأخيرة هذه أن أهل الكوفة قد خدعوه ، وقال : ارجع بأهلك ولا يغرنك أهل الكوفة ، فإن أهل الكوفة كذبوك وكذبوني ، وليس لكاذب رأي .

ثم إن ابن زياد أمر أن يُصعد بمسلم إلى أعلى القصر ، فصُعد به وهو يذكر الله ويقول : اللهم احكم بيننا وبين قوم غرُّونا وخذلونا ، ثم ضُرِبَ عنق مسلم: ، وأُلقي رأسه إلى أسفل القصر، وأُتبع رأسه بجسده ، ثم أمر ابن زياد فضربت عنق هانيء وصلب بالكناسة ، ولهما يقول الشاعر:

فإن كنتِ لا تدرين ما الموت فانظري إلى هانئ في السوق وابن عقيل

<u>البند الرابع :</u> في استعداد الحسين للخروج إلى العراق واعتراض الصحابة والتابعين على خروجه .

لما وصل إلى الحسين الكتاب الأول من مسلم بن عقيل بالقدوم عليه عزم على المسير إلى العراق ، فأرسل إلى أهله بالمدينة فقدم عليه من بني عبد المطلب تسعة عشر رجلاً من أبنائه وإخوته وبني إخوته وبني عمومته ، إضافة إلى نسائه وصبيانه .

ثم حدثت الأحداث السابق ذكرها من غدر أهل الكوفة وتخاذلهم ، ثم القبض على مسلم وقتله ، كل ذلك حدث والحسين لم يعلم به ﵁ ، لأنها أحداث وقعت بعد وصول كتابة مسلم للحسين بالقدوم أول الأمر ، ولذا كان من أهم ما سعى إليه مسلم بعد القبض عليه أن يوصل أحدٌ رسالة إلى الحسين لإطلاعه على ما وقع لاحقاً ، وحثِّه على ترك المجيء إلى العراق.

لما علم الناس بالحجاز أن الحسين عزم على الخروج إلى العراق أشفقوا عليه وأجمع مُحبّوه من الصحابة والتابعين على تحذيره من الذهاب إلى العراق ، لعلمهم بسوء صنيع أهل العراق مع أبيه وأخيه ، مع أن أهل العراق بايعوا عليا وبايعوا الحسن قبله خليفتين ، ثم أساؤوا التعامل معهما ،

رغم ما وجب عليهم من حق بيعتهما ، فالحسين سيناله ما نال أباه وأخاه بلا شك .

واعلم أن الحسن بن علي في حياته كان يتخوف على أخيه الحسين أهل العراق ، فقد جاءت الحسنَ يوماً صحفٌ من العراق ، أثناء خلافة معاوية ، فأمر الحسن ﷺ بإناء فصُبَّ فيه الماء ، وألقى تلك الصحف فيه ، ولم يفتح منها شيئاً ولم ينظر إليها . فسأله التابعي الجليل يزيد بن الأصم : ممن هذه الكتب يا أبا محمد ؟ فقال الحسن : من أهل العراق ، من قوم لا يرجعون إلى حق ، ولا يقصرون عن باطل ، أما إني لست أخشاهم على نفسي ، ولكني أخشاهم على ذلك ، وأشار إلى الحسين رضي الله عنهما.

والحاصل أن الحسين حين عزم على الذهاب إلى العراق اجتمع عليه النَّصَحةُ من أصحاب النبي ﷺ والتابعين بمكة والمدينة وغيرهما ليثنوه عن عزمه ، لكنه أبى .

فممن نصحه أن لا يخرج ابن عمه ترجمانُ القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقد قال : استشارني الحسين في الخروج فقلت : لولا أن يُزرِيَ بي وبك الناس لنَشِبت يدي في رأسك فلم أتركّ تذهب ، فقال الحسين ﷺ : لأن أقتل بمكان كذا وكذا أحب إلى من أن أستحل حرمتها ، يعني مكة ، قال ابن عباس : فكان هذا الذي سلى نفسي عنه . وفي بعض الروايات أن ابن عباس لما رأى إصرار الحسين على المسير إلى العراق نصحه أن لا يأخذ نساءه وأهله معه ، لأنه خشي أن يُقتل أمامهم.

وممن نصح الحسين بعدم الخروج للعراق أخوه محمد بن علي المعروف بابن الحنفية ، فإن الحسين لما أرسل لأهله في المدينة ، ليقدموا عليه تبعهم أخوه محمد ونصحه بأن لا يخرج ، فلما أصر الحسين أمر محمد أبناءه بعدم الخروج مع عمهم ، فقال الحسين : أترغب بولدك عن موضع

أَصـاب فيـه ؟ فقـال : ومـا حـاجتي أن تصـاب ويصـابوا معك ؟ وإن كانـت مصيبتك أعظم عندنا منهم .

وممن نصح الحسين بعدم الخروج عبد الله بن عمر رضـي الله عنهما ، فقد بلغه خبر خروج الحسين إلى العراق فلحقه حتى أدركه على مسيرة ثلاث ليـال ، فقـال : أيـن تريـد ؟ قـال : العـراق وإذا مـع الحسـين طـوامير وكتـب فقال: هذه كتبهم وبيعتهم ، فقال ابن عمر : لا تأتهم ، ونصحه أن يرجع ، وقال : ارجع فأنت تعرف غدر أهل العراق ، وما كان يلقى أبوك منهم ، فأبى الحسين الرجوع فاعتنقه ابن عمر وبكى ، وقال : أستودعك الله من قتيل.

وممن نصحه عبد الله بن الزبير بمكة ، قال له : أين تذهب ؟ إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك ، فقال الحسين : لأن أقتل بمكان كذا وكذا أحب إليّ من أن تستحل بي – يعني: مكة – .

وممن نصحه بعدم الخروج أبو سعيد الخدري ﵁ ، فقد قال للحسين : يا أبا عبد الله ، إني لكم ناصح وإني عليكم مشفق ، وقد بلغني أنه كاتبك قوم من شيعتكم بالكوفة يدعونكم إلى الخروج إليهم ، فلا تخرج إليهم ، فإني سمعت أباك يقول بالكوفة : والله لقد مللْتهم وأبغضتهم ، وملّوني وأبغضوني ، وما يكون منهم وفاء قط ، ومن فاز بهم فاز بالسهم الأخيب ، و الله ما لهم نيات ولا عزم على أمر ، ولا صبرٌ على السيف .

وممن نصحه من الصحابة أبو واقد الليثي ، لما سمع اقتراب الحسين من المدينـة خـرج إليـه حتـى أدركـه وناشـده بـالله أن لا يخـرج ، وذكـر لـه أن خروجه هذا فيه مقتله.

أما التابعون الذين نصحوا الحسين بعدم الخروج فهم كثير ، منهم أبو بكر بن عبد الرحمن قال له: قد رأيت ما صنع أهل العراق بأبيك وأخيك ، وأنت

تريد أن تسير إليهم وهم عبيد الدنيا ، فيقاتلك من وعدك أن ينصرك ويخذلك من أنت أحب إليه ممن ينصره ، فأذكِّرك الله في نفسك . فقال الحسين: جزاك الله يا ابن عم خيراً ، مهما يقضِ الله من أمر يكن ، فقال أبو بكر: إنا لله وإنا إليه راجعون ، نحتسب أبا عبد الله عند الله .

وممن نصحه عمر بن عبد الرحمن أخو أبي بكر هذا قال : يا ابن عم إنك تأتي بلداً فيه عُمّاله وأمراؤه ، ومعهم بيوت الأموال ، وإنما الناس عبيد لهذا الدرهم والدينار ، ولا آمن عليك أن يقتلك من وعدك ، ثم دعا له بخير وانصرف .

وممن كتب إلى الحسين ينصحه أن لا يخرج يزيد بن الأصم – الذي روى عن الحسن إلقاء كتب أهل العراق في الماء وعدم نظره فيها ، وتخوّفَه على أخيه الحسين من أهل العراق – كتب يزيد للحسين: (إني أعيذك أن تكون كالمغتر بالبرق ، أو كالمسابق إلى السراب ، (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ) .

وكتب له الأحنف بن قيس _ وهو أحدُ أنصار علي المشهورين _ كتب إليه بالآية (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ).

فهذه نصائح عشرةٍ من خيار الأمة من الصحابة والتابعين ، ومعهم آخرون تركت نقل كلامهم اختصاراً ، كلهم أشاروا على الحسين أن لا يخرج ، وذكّروه بغدر أهل العراق بأبيه وأخيه من قبله .

لكن الحسين رضي الله عنه أصر على الخروج ، لأنه ظن أن أهل العراق صدقوه ، ولا سيما بعد أن كتب له رسوله مسلم بن عقيل ببيعتهم ، كما أن الحسين كره أن يقع الصراع بينه وبين خصومه في مكة ، حتى لا تُستحل حرمة هذا البلد الأمين .

انطلق الحسين ﷺ إلى العراق ، وتقدم أنه انطلق بناء على أن الأمور قد سارت في العراق مسارها الذي أراد ، من البيعة له بالخلافة من قِبَل كبراء أهل الكوفة ، وفي أثناء ذهابه هذا بلغه خبرُ غدر أهل العراق ، وأنّ ابن عمه مسلم بن عقيل قد قتل ، ثم بلغه أيضاً أن حامل الكتاب الذي كتبه إلى أهل العراق وهو رسول آخر للحسين هو عبد الله بن بُقْطر _ أخ له من الرضاعة _ قد قتل على يد ابن زياد ، وكذا مبعوث له آخر هو قيس بن مسهر قد قتل أيضاً .

عند ذلك تحقق للحسين غدر أهل العراق به ، وبابن عمه ، فترجح له أن يرجع عن مسيره هذا إلى الكوفة ، وقال لمن معه : خذلتنا شِيعتُنا ، فمن أحب الانصراف فلينصرف من غير حرج عليه ، فانصرف عنه بعض من كان معه ، ولم يثبت معه إلا أصحابه الذين هم أقاربه وخُلّص أصفيائه.

واعلم أن الحسين قد عرض على من معه الرجوع عن هذا المسير الذي اكتنفته كلُّ هذه الصعاب ، وأيَّده على ذلك ابنه عليّ الأكبر ، وهو غير علي زين العابدين .

قال علي الأكبر : ارجع يا أَبَهْ ، فإنهم أهل العراق وغدرُهم وقلة وفائهم .

لكن بني عقيل ، وهم إخوة مسلم الذي قتله ابن زياد قالوا : والله لا نرجع حتى نأخذ بثأرنا ممن قتل أخانا ، فلما رأى الحسين ذلك قال : لا خير في الحياة بعدكم ، لأنه ﷺ لم ير أن من المناسب أن يترك بني عمه يمضون إلى هذا البلد الذي فيه كل هذه الخيانات ، ويواجهوا وحدهم ما واجهه أخوهم .

وكان أربعة نفر من الصادقين من أهل الكوفة قد تمكنوا من الوصول إلى الحسين ، رغم الاحتياطات التي اتخذها والي الكوفة ابن زياد ، لمنع الخروج من الكوفة أو الدخول إليها ، فلما وصل هؤلاء الأربعة إلى الحسين

سألهم عن الناس وراءهم في الكوفة فقال أحدهم : أما أشراف الناس فهم إلب عليك (أي مجتمعون على عداوتك) لأنهم قد عظمت رشوتهم ، وملئت غرارهم (أي أوعيتهم) وأما سائر الناس فأفئدتهم تهوى إليك ، وسيوفهم غداً مشهورة عليك .

وقال آخر من أولئك النفر الأربعة الصادقين : ظاهرُ الكوفة مملوء بالخيل والجيوش ، يعرضون ليقصدوك، فأنشدك الله إن قدرت أن لا تتقدم إليهم شبراً فافعل .

<u>البند الرابع :</u> في التقاء الحسين وأصحابه بجيش ابن زياد والي الكوفة .

كان عمر بن سعد على رأس جيش مكوّن من (أربعة آلاف) قد جهز لقتال الديلم في الريّ ، فأمر ابن زياد أن يُحوّل الجيش وجهته عن الري إلى الحسين ، فأبى عمر بن سعد ، فهدده ابن زياد إن لم يفعل أن يقتله ويهدم داره ، فأذعن ابن سعد عند ذلك.

لما وصل الجيش إلى الحسين وأصحابه بيّن لهم الحسين أنه إنما أتى إلى الكوفة بطلب من أهلها ، وأشار إلى حقيبتين كبيرتين فيهما أسماء الذين بايعوه ، ودعوه إلى المجيء .

ثم إن الحسين عرض على هذا الجيش ثلاثة أمور فيها حَلٌّ تامّ للموضوع من أصله ، وهذه الأمور الثلاثة هي على النحو الآتي :

أولها : أن يتركوا الحسين ليرجع من حيث أتى .

ثانيها : أن يتركوه ليذهب ، إلى يزيد بن معاوية الخليفة بالشام ، فهما جميعاً من قريش ، وبينهما رحم تجمعهما .

ثالثهما : أن يُخلّوا بين الحسين وبين أحد الثغور ، ليقاتل الكفار . فسُرَّ بذلك عمر بن سعد قائد الجيش ، لأن فيما طرحه الحسين حلاً حكيماً للموضوع بطريقة لا إراقة فيها للدماء .

لما أبلغ عمر بن سعد أمير الكوفة ابن زياد بحلول الحسين الثلاثة مال إلى الموافقة أول الأمر ، إلا أن جلساء السوء عند أمير السوء شيَّنوا ذلك في عينيه وقالوا : ألزِمْه أن ينزل على حكمك أنت ، فاستحسن ابن زياد ذلك ، وأرسل إلى عمر بن سعد واحداً من قواده المتعصبين على الحسين ، وهو شمر بن ذي الجوشن ، ليلزم عمر بن سعد بإنزال الحسين على حكم ابن زياد ، وأمر شمراً بقتل قائد الجيش عمر بن سعد إن هو أبى ذلك .

عرض عمر بن سعد على الحسين ما قاله ابن زياد فأبى الحسين النزول على حكمه ، إذ كيف ينزل على حكم رجل قتل ابن عمه مسلم بن عقيل بتلك الطريقة الدنسة التي تقدم ذكرها ، ثم إن رجلاً كالحسين في شرفه وسؤدده وعظم قدره عند المسلمين لا ينبغي أن يُجعل أمره عند ابن زياد ، ذاك الشاب السفاك للدماء ، المعروف بالسفه والطيش ، خاصة وأن الحسين أعطى البديل بالذهاب ليزيد بالشام وإنهاء الموضوع معه .

لم يكتف ابن زياد في تعقيده للأمور بما تقدم ، بل أرسل مرة أخرى رجلاً يدعى جويرية بن بدر التميمي ، ليضرب عنق القائد عمر بن سعد إن لم يقاتل الحسين فورا ، فقام عمر بن سعد بعرض الأمر على الحسين مرة أخرى ، لينزل على حكم ابن زياد أو هو القتال لا محالة ، وذلك يوم الخميس التاسع من المحرم ، فطلب الحسين أن يمهله إلى الصباح ، وأقبل الحسين هو ومن معه على الصلاة والدعاء تلك الليلة .

لما أصبح الحسين عزم أمره ونظم أصحابه للقتال ، فولى رجلاً ميمنة جيشه ، وولى آخر ميسرته ، وجعل الراية عند ثالث ، وكذلك نظم عمر بن سعد جيشه .

لما رأى أحد القواد النبلاء في جيش عمر بن سعد هذا التعنت والتحامل على الحسين قال لمن معه في الجيش : ألا تَقَبَلون من هؤلاء ما يعرضون

عليكم ؟ والله لو سألكم التُّرك والديلم – يعني: وهم كفار – ما حلَّ لكم أن تردُّوه .

وهذا القائد هو الحر بن يزيد التميمي : ، فلما أبوا قبول قوله حرّك الحرُّ هذا خيله وانضم إلى الحسين ليقاتل معه ، وصار في جيشه ، ولما انضم الحر للحسين بدأ يُعنّف أولئك الخونة من أهل الكوفة ، وقال: يا أهل الكوفة ، لأمِّكم الهَبَل ، أَدَعوتم الحسين إليكم ، حتى إذا أتاكم أسلمتموه ؟ وزعمتم أنكم قاتلوا أنفسكم دونه ، ثم عدوتم عليه لتقتلوه ، ومنعتموه التوجه في بلاد الله العريضة التي لا يُمنع فيها الكلب والخنزير ، وحُلتم بينه وبين الفرات الذي يشرب منه الكلب والخنزير ، وقد صرعهم العطش ! فلما قال ما قال حمل عليه طائفة من جيش ابن زياد يرمونه بالنبل ، فلما كان هذا جوابهم أقبل الحرُّ حتى وقف عند الحسين .

قبل أن تبدأ المعركة وعظ الحسين جيش ابن زياد موعظة بليغة عظيمة بيّن لهم فيها أنه لا يحل لهم قتاله ، وذكّرهم ببعض ما ورد من فضائله ، وأنه ليس على وجه الأرض إذ ذاك ابن بنت نبي غيره ، وقال : إن صدَّقتموني وإلا فاسألوا أصحاب رسول الله ﷺ عن ذلك : جابراً وأبا سعيد وسهل بن سعد وزيد بن أرقم وأنس بن مالك يخبرونكم بذلك .

ونادى الحسين ناساً حددهم بأسمائهم واحداً واحداً ، ممن كتبوا إليه ، وهو في مكة ، ليقدم عليهم ، ثم انضموا إلى ذلك الجيش الظالم ، وقال : ألم تكتبوا لي أنه قد أينعت الثمار ، واخضرَّ الجناب فاقدم علينا ، فإنك إنما تَقْدِم على جند مجنّدة ؟ فقالوا : لم نفعل .

فقال : سبحان الله ! والله لقد فعلتم .

وقال الحسين لعمر بن سعد وجنده : والله ما أتيتكم حتى أتتني كتب أماثلكم بأن السنّة قد أميتت ، والنفاق قد نجم ، والحدود قد عُطلت ، فاقدم لعل الله يصلح بك الأمة .

ثم وجه الكلام لعمر بن سعد وهو قرشي له قرابة من الحسين فقال : يا عمر ليكونن لما ترى يومٌ يسوؤك ، ثم دعا الحسين عليهم قائلاً : اللهم إن أهل العراق غرّوني وخدعوني وصنعوا بأخي ما صنعوا ، اللهم شتِّت عليهم أمرهم ، وأحصهم عدداً .

وكانت أخت الحسين ندبته ، وقالت : واثُكلاه ، وأظهرت الجزع ، فأنكر عليها الحسين وقال : يا أخيَّه ، لا يذهبن حلمَك الشيطان ، فلطمت وجهها وغُشِي عليها ، فصبَّ الماء على وجهها ، وقال : اتق الله واصبري ، وتعزّي بعزاء الله ، واعلمي أن أبي خير مني ، وأمي خير مني ، وأخي خير مني ، ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله ﷺ أسوة حسنة ، ثم إن الحسين حرّج على أخته أن تفعل شيئاً مما فعلت بعد أن يموت ، وأخذ بيدها وردَّها إلى موضع النساء .

وكانت أخوات الحسين وبناته لما سمعن وعظه للجيش ارتفعت أصواتهن بالبكاء ، فتذكر الحسين في ذلك الموقف نصيحة ابن عمه عبد الله بن عباس ، حين أشار عليه أن لا يخرج بالنساء ، تذكر نصيحة ابن عباس ، ودعا له قائلاً : لا يُبعد الله ابنَ عباس.

بعد ذلك زحف جيش عمر بن سعد نحو الحسين وأصحابه ، فبدأت معركة الظلم التي لا يوجد فيها أدنى تكافؤ ، جيشٌ بالألوف جُهّز لقتال ببلدة الري ، يقاتل جمعاً عددهم (اثنان وسبعون) رجلاً .

ومع ذلك استأسد هذا الجمع الشريف ، وردُّوا عن الحسين رضي الله عنه ما استطاعوا ، وقتلوا من خصومهم قريباً من (تسعين) مما يدلك على رباطة جأشهم

وثباتهم ، كما هو شأن الحسين رضي الله عنه ، فقد اشترك في القتال لاحقاً وكان رابط الجأش قوي القلب في قتاله .

في نهاية المطاف قتل أصحاب الحسين واحداً واحداً ، إلى أن لم يبق سوى الحسين .

وبالنظر إلى عدد الجيشين نعلم أن كل واحد في عسكر الحسين يقابله قريب من ستين في الجيش الآخر ، ومعلوم أن الكثرة التي تصل إلى الأضعاف المضاعفة لها تأثير كبير في المعركة ، فإن الله تعالى إنما جعل في قتال الأقران الضعف ، فقال سبحانه : (**إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ**) فأما الأعداد الكثيرة كما هو الحال في جيش ابن زياد فلا شك في صعوبة الوضع معها ، والله المستعان .

لما لم يبق إلا الحسين دعا بابن له صغير فجعله في حجره ، فجاء سهم فأصاب هذا الصغير ، فجعل الحسين يمسح الدم عن وجه صبيه ، ثم توجه إلى الله داعياً على أهل العراق : اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا ، لينصرونا فقتلونا .

لم يجرؤ جيش ابن زياد على قتل الحسين حين بقي وحده ، ومكثوا نهاراً طويلاً لا يأتي أحد إليه إلا رجع عنه ، وصاروا يتدافعون قتله ، كل واحد لا يريد أن يتولى قتله بنفسه ، حتى صاح فيهم شمر بن ذي الجوشن آمراً لهم بقتله ، فحملوا عليه رضي الله عنه من كل جانب ، وظل يدافعهم ويجول فيهم بالسيف إلى أن ضربه أحدهم على كتفه اليسرى ، ثم طعنه أخر بالرمح في ترقوته وصدره ، فخر رضي الله عنه فاحتزَّ هذا المجرم رأسه ، أخزاه الله ، وجازاهم جميعاً بما يستحقون ، وشدد عليهم الحساب وضاعف لهم العذاب .

في هذه الفاجعة قُتل عدد من خيار آل بيت النبي ﷺ وعددهم سبعة عشر

فممن قتل من إخوة الحسين ، أبناءُ علي الخمسة : أبو بكر ، وعثمان والعباس وجعفر ومحمد الأصغر .

وممن قتل من أبناء الحسين : ابناه : عليٌّ الأكبر ، وعبد الله .

وممن قتل من أبناء الحسن : أبناؤه الثلاثة : أبو بكر وعبد الله والقاسم.

ومن أبناء عمه عقيل ، قتل ثلاثة ، هم جعفر وعبد الله وعبد الرحمن .

ومن أبناء ابن عمه عبد الله بن جعفر قتل اثنان هما عون ومحمد .

وممن قتل من أبناء مسلم بن عقيل ابنه عبد الله ، كما قتل محمد بن أبي سعيد بن عقيل .

وتُرِك علي بن الحسين زينُ العابدين لم يُقتل لمرضه ، وكان قد جاوز العشرين عاماً، وتُرِك عمر بن الحسن لصغره .

بعد ذلك حمل عمر بن سعد أهل الحسين من النساء والذرية إلى الوالي عبيد الله بن زياد ، ومعهم عليّ بن الحسين ، فأمر ابن زياد لهم بمنزل وأجرى عليهم نفقة وكسوة .

وجيء برأس الحسين رضوان الله عليه إلى هذا الوالي الغشوم ، فجعل لجلافته وبلادته ينكت بقضيب معه على ثنايا الحسين ، فلم يملك الصحابي الجليل أنس بن مالك نفسَه فقال : والله لأسوءنك ، إني رأيت رسول الله ﷺ يلثم حيث يقع قضيبك ، فانقبض ابن زياد ، ومعنى يلثُم : يُقبّل .

وقال زيد بن أرقم رضي الله عنه: ارفع هذا القضيب عن هاتين الثنيتين ، فوالله الذي لا إله إلا هو ، لقد رأيت شفتي رسول الله ﷺ على هاتين الثنيتين يُقبّلهما ، ثم انفضخ زيد يبكي ، فقال ابن زياد قولة من لا يعرف أقدار الرجال ، قال لزيد: أبْكَى الله عينيك ، فوالله لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك ، فنهض زيد فخرج ، ومر وهو يقول في ابن زياد : ملَك عبدٌ عبيداً

، فاتخذهم تليدا ، أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم ، قتلتم ابن فاطمة ، وأمَّرتم ابن مُرجانه فهو يقتل خياركم . ويستعبد شراركم ، فبعداً لمن رضي بالذل . – ومرجانه: أم عبيدالله بن زياد –

قالوا : والله لو سمعه ابن زياد لقتله .

ثم إن ابن زياد سيّر آل الحسين إلى يزيد بن معاوية في الشام .

ولما بلغ يزيدُ خبر قتل الحسين لعَنَ ابن زياد ، وقال للذي جاء بآل الحسين: كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين ، أما والله لو أني صاحبه لعفوت عنه ، أقسمت لو أن بين ابن زياد وبين الحسين قرابة ما أقدم عليه .

وذكر أن ابن زياد بقتله للحسين قد زرع ليزيد العداوة في قلوب المسلمين وبغّضه لهم.

ثم أمر يزيد نساءه أن يُقِمن المأتم على الحسين ، فأظهرن البكاء والنوح ، وأرسل يزيد إلى المدينة فقدم عليه ذوو السن من موالي بني هاشم وموالي بني عليّ ، وأمر يزيدُ الصحابي الجليل النعمان بن بشير الذي عزله عن الكوفة ، أمره أن يصحب آل الحسين ، كما أرسل معهم ثلاثين فارساً من موالي بني سفيان ، وأمرهم أن ينزلوا بآل الحسين ، حيث شاؤوا ومتى شاؤوا ، وعرض على علي بن الحسين أن يقيم عنده في الشام وقال له : إن أحببت أن تقيم عندنا فنصل رحمك ونعرف لك حقك فعلت ، فاختار عليّ الرجوعَ إلى مدينة النبي ﷺ .

واعلم أن ما يُذكر من سبي نساء الحسين وذريته ، وحملهم على الجمال عرايا بغير أقتاب فإنه غير صحيح ، ولم تُسب هاشمية قط من قبل أحد من هذه الأمة ، ولا استحل أحد هذا ، ثم اعلم أن ليزيد قرابة بالحسين وأهله

، فكلهم من قريش وهم بنو عمومة ، ولا يسهل على يزيد _ وإن كان ما كان _ أن تُحمل نساء من بنات عمومته على تلك الهيئة الشنيعة ، فذلك أمر لو وقع لطالت معرَّتُه يزيدَ نفسه ، ولكان سُبّة عليه .

وما رُتّب على هذا من الكذب البارد من أن الله أنبت للإبل التي حُمِلت عليها نساء الحسين أسنمة لتستر عوراتهن من أمامهن ومن خلفهن ، فكل هذا باطل ، فإن الإبل البخاتيّ أولات السنامين موجودة منذ دهور ، وليس لهذا النوع من الإبل أي تعلق بهذه الحادثة ، فقاتل الله مُروِّجي الجهالات والأكاذيب .

<u>الفقرة الثالثة</u> : في ملخص قول أهل السنة في هذه الجريمة :

أعلم أولاً أن أهل السنة في أمور الاعتقاد على أكمل ما يكون من الوضوح والصراحة لا يجاملون أحداً في اعتقادهم ، بل يجهرون بما يعتقدون ، ولا يوصدون دونه الأبواب ، ولا يهمسون به في الخفاء ، ولذا لقَّنوه عوامَّهم وصغارهم ، تسمعه في منطق الصغير البريء إذْ لقَّنَه أهله ما يعتقدون ، فلا يعسر عليك أن تعرف اعتقاد السني.

وهذا الاعتقاد مما يجهر به أهل السنة في المجامع الكبار من خطب الأعياد والجُمَع ، فليس لهم بحمد الله وجهان ، بل أمرهم واضح حتى عند خصومهم .

ومن ذلك مقتل الحسين رضي الله عنه ، فلو كان أهل السنة يُقرّون قتله _ وحاشاهم من ذلك _ لصرحوا به ، ولم يستخْفُوا ، لكن لأنهم يجزمون بأن ما حصل للحسين من الظلم العظيم فقد صرحوا به ، وكانوا من المجاهرين بالبراءة إلى الله ممن ظلمه.

إذاً فأهل السنة بخصوص ما وقع للحسين لا يشكّون أبداً في أنه جرم عظيم وتجاوزٌ لحدود الله تعالى ، وطغيان من أبشع الطغيان ، فإن قتل ابن بنت رسول الله ﷺ على ما تقدم مفصَّلاً ، ومعه هذا الجمع الشريف من آل بيت النبي ﷺ ، وأمام نظر أولئك المستضعفين من النساء والصبيان ، كل ذلك دال على خبث القتلة وما انطوت عليه نفوسهم من الشر العظيم ، حتى أوقعوا هذه المظلمة الهائلة ، بعد أن تسببوا في مُقدّماتها بدعوة الحسين إليهم ، ثم قتلوه بدلاً من أن ينصروه كما وعدوه .

ومع ذلك كله فإن العاقل ينبغي أن يركز على حقائق غُيّبت في هذه الحادثة . وما يشعر به كل مسلم من الغيظ والكَمَد العظيمين على ما وقع لابن بنت النبي ﷺ لا ينبغي أن يشغله عن تلمس حقيقة ما وقع بأسلوب علمي سليم ، كما لا ينبغي أن يشغله عن عِبرٍ وعظاتٍ عظيمةٍ في هذه الحادثة .

والواجب على من تناول هذا الموضوع أن يُجلي للناس حقائق كبيرة غُيّبت ، وأن يسعى إلى إزالة كثير من الغبش والكذب المنتشر في خبر مقتل هذا الشهيد المظلوم رضي الله عنه ، وذلك ما سأسعى إلى تجليته في البنود الثلاثة الآتية ، وما توفيقي إلا بالله .

البند الأول : في تحديد من عرفوا قدر الحسين ورَعَوا مكانته ، ديانةً وقربة إلى الله :

تقدم أن الحسين كان في الحجاز ذا مكانة كبيرة ، وكان المسلمون من الصحابة والتابعين يرعون له قدره ، وتقدم أن ابن الزبير رغم أنه ذو شرف ومقدارٍ عالٍ بالحجاز إلا أنه لم يفكر أن يدعو لنفسه بالخلافة مع وجود الحسين ، لعلمه بالمقدار الرفيع الذي تبوّأه الحسين في الناس ، وأن الناس لن يعدلوا بالحسين أحداً ، لا ابنَ الزبير ولا غيره .

ولذا فإن ابن الزبير لما قُتل الحسين شرع يخطُب الناس بمكة ، ويحرّض على يزيد ويعيب على أهل الكوفة ما صنعوه بالحسين ، ويترحم عليه ويلعن من قتله .

قال ابن كثير: : قال الناس : أما إذ قتل الحسين فليس أحد ينازع ابن الزبير.

قلت : وما ذاك إلا لمكانة الحسين العلية في نفوسهم .

ولذا كان من أهم أسباب قوة ابن الزبير بالحجاز لاحقاً نقمةُ الناس هناك بعد مقتل الحسين الذي كانوا يُجلّونه ، ويتقربون إلى الله بحبه وحب آل بيته.

وذلك أمر لا يختص به أهل الحجاز وحدهم ،بل ذلك عامّ شائع في جميع بلاد المسلمين .

وخذ على سبيل المثال لا الحصر قصة عجز هشام ابن الخليفة عبد الملك ابن مروان عن استلام الحجر الأسود _ وهو يطوف _ فإن الناس لم يُبالُوا به وزاحموه حين أراد الاستلام ، فلم يتمكن من استلام الحجر ، فلما جاء زين العابدين علي بن الحسين ﷺ أخلى الناس له المكان بكل رحابة صدر، حتى استلم دون عناء ، فشقّ ذلك على هشام ، ولم يجد ما يخفف به غيظه إلا ادّعاء أنه لا يعرف هذا الذي صنع به الناس ذلك الإكرام الذي لم يَحْظَ هو بمثله ، فلذا قال : من هذا ؟ فأجابه الفرزدق بالأبيات المشهورة ، وفيها قوله:

وليس قولك من هذا بضائره *** العُرب تعرف من أنكرت والعجم

وأنت تعلم أن الطائفين بالكعبة يأتون من كل فجّ ، فهم من بلدان شتّى ، وليسوا أهل الحجاز وحدهم .

فهذه القصة تعطيك جانباً يسيراً من إجلال الأمة للحسين وآل بيتهن

البند الثاني :

لابد من التنويه إلى النَّصَحة الكرام من الصحابة والتابعينن الذين صَدقوا الحسين في نصحهم ، وحذروه الذهاب لبلد عُرف أهله بسوء المعاملة مع أمير المؤمنين علي وبنيهن ، وذكَّروه بموقف أبيه وأخيه منهم ، وتنوعت طرائقهم في إبداء النصح للحسين ، من الإلحاح الشديد عليه في مكة بترك الذهاب للعراق ، وتكرار الإلحاح لا حقاً بعد أن غادر مكة بالسفر وراءه ومحاولة إقناعه بالعدول عن ترك الرحلة ، حتى قال ابن عباس : لولا أن يزري بي وبك الناس لنشِبتُ يدي في رأسك فلم أتركّ تذهب ، وابن عمر يسافر خلفه حتى يدركه بعد مسافة طويلة تُقصر فيها الصلاة ثم يترجاه أن يرجع ، فلما أبى اعتنقه وودعه باكياً وداع من يجزم أنه لن يراه بعدها .

وهكذا ترجِّي أبي سعيد وأبي واقد ، وكذا يقال في صنيع الأخوين أبي بكر وعمر ابني عبد الرحمن اللَّذين ذكّراه أن أهل الكوفة عبيدٌ للدنيا وسيخذلونه، طمعاً فيما عند ولاتهم من الدينار والدرهم ، ولم يجد أبو بكر أمام إصرار الحسين إلا الاسترجاع واحتساب الأجر في الحسين قبل أن يقتل .

وهكذا من لم يكن قريباً من الحسين كيزيد بن الأصم والأحنف بن قيس ، كاتباه ناصحين له ، علّ كتابهما أن يجدي في ثنيه عن عزمه .

فهؤلاء جميعاً وغيرهم ممن لم نذكر بذلوا وسعهم في نصح الحسين ، كما ترى ، ولم يكن الحسين يتشكك في صدقهم ، بل كان يدرك أن الحامل لهم على هذا الإلحاح الشديد هو المحبة التي لا تصنُّع فيها ، ولذا كان يدعو لهم بخير ، ويذكر لذوي قرابته أنهم بنو عمومته ، فلا يُستكثر عليهم صدق المحبة لابن بنت نبيهم ﷺ وأحد قرابتهم وذوي رحمهم .

ولا تغفل في هذا المقام عن تذكر موقف النعمان بن بشير رضي الله عنه الذي كان واليا على الكوفة قبل عبيد الله بن زياد ، فلعلمه بمكانة آل بيت النبي ﷺ لم

يُقدِم على مسلم بن عقيل ، ابن عم الحسين ، حين وصل إلى الكوفة رسولاً من الحسين ، ولذا فإن يزيد بن معاوية عزله عن الكوفة ، لعلمه بأن مهمة فيها سفك دم مسلم بن عقيل لن يتولاها النعمان ، فضلا عن أن يتولى مهمة فيها سفك دم الحسين .

فلله در أصحاب النبي ﷺ والتابعين ، كم برهنوا على صدق حبهم لنبيهم ﷺ وآل بيته بالمواقف الصادقة النبيلة ، لا بالدعاوى الكاذبة ، ومع ذلك لم يسلم هؤلاء الصحب وهؤلاء التابعون الأخيارن ، فقد نال منهم نفسُ أولئك الذين خذلوا الحسين وجعلوهم موضع الشتم والسب.

ولا عجب ، فإن من فعل بالحسين تلك الأفاعيل لا يُستكثر عليه أن يقول في هؤلاء النبلاء أقبح الأقاويل .

وقد كان الحسين حكماً عدلاً بين الفريقين ، فإن الحسين بعد أن رأى ما فعله به شيعته من أهل الكوفة صار يدعو عليهم ، كما سيأتي إن شاء الله ويدعو لمن نصحه من إخوانه من الصحابة والتابعين .

والحاصل أن مما ينبغي أن يُبرز في الحقائق أن أفضل صنف يُشكر له مسعاه ويحمد له موقفه في هذه الفاجعة هم النصحة الكرام من الصحابة والتابعين الذين سجلوا أشرف موقف في مقتل الحسين ، وسعوا بكل وسعهم لمنع هذه الفاجعة ، لكن القدر إذا نزل فإنه لا يُرد .

<u>البند الثالث :</u> في تحديد الأطراف التي يُوجَّه لها اللوم في هذه الجريمة.

اللوم في هذه الجريمة يوجه لأطراف ثلاثة هي على النحو الآتي :

<u>الطرف الأول :</u> هم أهل الكوفة من شيعة الحسين ، الذين أحسن رضي الله عنه بهم الظن ، ووثق بنصرتهم له ، وذلك لأنهم أظهروا له أتم الاستعداد لاستقباله ، وكلموه بلُغَة تؤثر في الحسين التقيّ الورع ، إذ قالوا : إن السنة فيهم قد

أميتت ، وإنهم يريدون من مجيئه إليهم أن يصلح الله به حالهم ، بأن يقيم العدل فيهم ، ويقيم الحدود التي عُطلت ، بمعنى أنهم صوَّروا للحسين أن مجيئه ستزول به المنكرات ، ويؤمر فيه بالمعروف .

ومعلوم أن الحسينﷺ من أعظم الأمة صلاحاً وتقوى ، وهو يأمل أن يجعل الله ذلك على يديه ابتغاء الأجر من الله ، فترجح عنده أن يأتي إليهم لهذا القصد ، لا طلباً للملك والسلطان .

ومن أعظم ما يجلي لك ما عند أهل الكوفة من الشر الذي يلامون عليه ما يأتي :

<u>أولاً :</u> أنهم بايعوا الحسينﷺ بيعة غلظوها على أنفسهم بالأيمان الموثقة ، وكاتَبه عدد كبير منهم بذلك حتى وصلت الأوراق في كثرتها حدّاً احتاج الحسين معه أن يحملها في حقيبتين ، ثم تخلوا عن الحسين ، وكأن شيئاً لم يكن .

<u>ثانياً :</u> زاد هؤلاء في الطغيان حين تعاملوا أسوأ التعامل مع مسلم بن عقيل رسول الحسين ، وهو أحد فرسان آل البيت النبوي وشجعانهم ، فلما وصل إلى الكوفة بايعه للحسين ألوف كثيرة ، وحلفوا بالله لينصرنّه بأموالهم وأنفسهم ، مما جعل مسلماً يكتب إلى الحسين بالقدوم ، فإنه لما رأى هذه الكثرة الكاثرة جزم بأن الأمور تسير في مسار مُطَمْئن ، لأن كتابات القوم التي وصلت إلى الحسين قد ثبَّتها أهلها بالبيعة المغلَّظة بالأيمان ، دون أدنى إجبار أو إكراه لأحد على هذه البيعة .

ثم إن هؤلاء الكذبة بمجرد أن أغرى أمير الكوفة أمراء قبائلهم بالعطايا والرشاوى فكلموا أولئك الذين طوقوا قصر ابن زياد مع مسلم ، بمجرد أن كلموهم انخذلوا عن مسلم حتى لم يبق معه إلا عدد قليل ، ثم بمجرد أن حلّ ظلام الليل تركوه جميعاً فاضطروه: . وهو الفارس المقدام . إلى أن

يطلب شربة ماء عند امرأة عجوز ، أدخلته بيتها ، وأخفته عندها ، لأنها رحِمتْه رحمةً ، إذ صار يبحث عن موضع يأوي إليه _ وهو مَن هو في شرفه وسؤدده _ .

فأين ما يدّعيه أولئك الغَدَرة من حب آل بيت النبي ﷺ وتفديتهم بالأرواح ؟

ثالثاً : اكتمل شر هؤلاء وبلغ منتهاه عندما توجهوا نحو الحسين نفسه مع جيش ابن زياد وقاتلوه ، وكأنهم لم يُلحُّوا على الحسينرضي الله عنه عنه حتى قدم إليهم ، وكأنهم لم يبايعوه على أن يكون خليفتهم .

وهذا الصنيع من شيعة الكوفة هو أوقح وأقبح ما فعلوه .

ومن أصعب المواقف في هذه الحادثة وأشقها على النفس تذكيرُ الحسين لهم _ بعد أن عدَّدهم بأسمائهم واحداً واحداً _ تذكيره لهم بأنهم قد كاتبوه. فأنكروا ذلك ! فحلف رضي الله عنه . وهو الصادق البار ، وهم الكذبة . حلف بأنهم قد كتبوا له .

ولكن إغراء ابن زياد وعطاياه مقدمٌ عند هؤلاء على نصرة الحسين وادعاء محبته والتشيع له .

والحاصل أن أول فريق يُوجه له اللوم في هذه الفاجعة هم شيعة العراق . فما أكثر دعاواهم وكلامهم ، وما أبعدهم عن الصدق ، وقد تحقق فيهم ما توقعه الصحابة والتابعون الذين حذروا الحسين منهم ، إذ وصفوهم بأنهم أهل غدر ، عبيد للدينار والدرهم .

وصدق فيهم قول أحد النفر الأربعة الذين تمكنوا من الوصول إلى الحسين : أشراف الناس إلب عليك ، لأنهم قد عظمت رشوتهم وملئت غرارهم ، أي من عطايا أميرهم بن زياد.

ومراد الصحابة والتابعين بغائلة أهل العراق التي حذروا الحسين من مثلها ما فعلوه مع عليرضي الله عنه ، كما قال أبو سعيد الخدريرضي الله عنه لما نقل للحسين قول عليرضي الله عنه في أهل العراق : والله لقد مللتهم وأبغضتهم ...الخ

وكان عليرضي الله عنه كثير الدعاء عليهم ، لِما كانوا عليه من مساوئ الأخلاق التي بلغت بهم حداً ركضوا معه مرة نحو سرادق الحسن بن علي بعد مبايعتهم له بالخلافة فنهبوا سرادق الحسن ، وطعنه أحدهم بخنجر اشتكى بعده من آثار تلك الطعنة أشهراً ، وتحول عنهم الحسن وقال : عليكم اللعنة فلا خير فيكم ، وقد طعنوه أثناء صلاته بهم في وركه رضي الله عنه.

فسابقة أهل العراق مع علي وبنيهن سابقة سوء ومضرب مثل في الغدر .

ولذا لاحظت في كلام مسلم بن عقيل حين أرسل إلى الحسين يطلب منه أن لا يجيء إلى الكوفة ، لاحظت أنه قال : لا يغرنّك أهل الكوفة ، فقد كذبوك وكذبوني .

ولاحظت أيضاً أن الحسين لما بلغه مقتل مسلم ابن عمه قال لمن معه : خذلتنا شيعتنا .

ولاحظت قول علي الأكبر بن الحسين : ارجع يا أبه ، فإنهم أهل العراق وغدرهم وقلة وفائهم .

ولو كانوا أهل وفاء لما التزموه لفعلوا ما فعله الحرُّ التميمي أحد القادة عند عبيد الله بن زياد ، فإنه حين رأى أن جيش ابن زياد مصَمِّم على قتال الحسين خرج من ذلك الجيش الظالم وانضم إلى الحسين ، وقاتل معه ، وقال لأهل الكوفة : لأُمِّكم الهبل ، أَدَعوتم الحسين إليكم حتى إذا أتاكم أسلمتموه ، ثم عدوتم عليه لتقتلوه ؟

أمام هذا الظلم العظيم الواقع على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قِبَل أهل العراق دعا عليهم دعواتٍ أصابتهم بحمد الله وحلّت بديارهم ، كقوله : اللهم

شتت عليهم أمرهم ، وأحصهم عدداً . وقوله لما قتلوا ابنه الصغير بسهم وهو في حجره: اللهم احكم بينا وبين قوم دعونا لينصرونا فقتلونا .

وقد قال الزهري: : " ما بقي أحد من قتلة الحسين إلا عوقب في الدنيا "

وذكر ابن كثير أن أكثر ما روي من الفتن التي أصابت قتلة الحسين صحيح ، فإنه قلّ من نجا منهم من آفة وعاهة في الدنيا ، وأكثرهم أصابه الجنون .

ولخّص ابن كثير ما صنعه أهل الكوفة مع الحسين بالآتي:

أنهم كاتبوه ليتوصلوا به إلى أغراضهم ومقاصدهم الفاسدة ، فلما علم ابن زياد منهم ذلك بلَّغهم ما يريدون من الدنيا ، وآخذهم على ذلك ، وحملهم عليه بالرغبة والرهبة فانكفوا عن الحسين وخذلوه ثم قتلوه .

وبكل حال فهؤلاء الكوفيون المدّعون للتشيع يغيب عند بعض الناس التركيز على جريمتهم ، وكأنما هم حَمَل وديع لا يد له في مظلمة الحسين ، مع أنهم من الإجرام بالمقام الذي علمت .

ولذا سار في العرب مثل صادق عنهم ، وهو قول العرب **(أَغْدَر من كوفيّ)** وفعْلُهم القبيح مع الحسين ، وقبله مع أخيه الحسن ومع أبيهما عليّن أوضح دليل على صحة هذا المثل ودقَّته ، فهم في العهود التي يقطعونها كما قال الشاعر :

حلفَتْ لنا أن لا تخون عهودها فكأنما حلفت لنا أن لا تفي

وهم في مجموع المخازي التي أسلفنا بعضا منها ، كما قال الشاعر:

مَساوٍ لو قُسمن على الغواني لما أُمهِرن إلا بالطلاق

وقد ظل السلف الصالح ن يذكرون جُرْم أهل العراق وما صنعوه بالحسين ، لفداحة أمره .

فهذه أم المؤمنين أم سلمةك لما بلغها مقتل الحسين قالت في أهل العراق : " قتلوه قتلهم الله ، غرُّوه وذلُّوه لعنهم الله " .

ولما سأل رجلٌ من أهل العراق عبد الله بن عمر عن المحرم يقتل الذباب قال ابن عمر : " أهل العراق يسألون عن الذباب ، وقد قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ "

ومراده أن يعجِّب الناس من سؤال عراقي يظهر من سؤاله شدة الورع عن دم الذباب ، في الوقت الذي لم يتورع أهل العراق عن دم رجلٍ جدُّه رسول الله ﷺ .

وبالجملة فإن من الحقائق التي لابد من تجليتها جرم هؤلاء الكوفيين الذين تسببوا في إخراج الحسين من الحجاز ، حيث كان له بها كل العز والمنعة والتقدير ، إلى أن خرج إلى العراق ففعلوا به ما فعلوا من الغدر والخيانة .

الطرف الثاني : ممن يوجه لهم اللوم: ذلك الأمير الظالم المتعنت عبيدالله بن زياد . فإن الأمير على الكوفة قبله هو النعمان بن بشير الذي استصعب التعرض لمسلم بن عقيل فعزله يزيد وولى عبيد الله هذا ، ليقوم بالمهمة العفنة التي لم يكن بالإمكان أن يقوم بها أهل التقوى كالنعمان بن بشير ، فلم يوجد لمهمة الظلم هذه أقرب من هذا الوالي الغشوم ، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فإن تعنت ابن زياد ، ورفضه الحلول الثلاثة التي عرضها الحسين لإنهاء الموضوع من دلائل ما كان عليه هذا الرجل من الخبث والشر ، والإصرار على إهانة الحسين ، والسعي في تعقيد الموضوع ، كل

هذا بقصد التقرب إلى يزيد بن معاوية والتزين عنده بإظهار الولاء الأعمى له .

ويدلك على مدى تجبر هذا الظالم أنه وجَّه للحسين جيشاً كبيراً بالألوف لا يقارن بعدد من كانوا مع الحسين .

وقُلْ مثل هذا في تهديد ابن زياد قائدَ الجيش : عمر بن سعد بالقتل ، إن لم يسارع إلى تنفيذ أمره بالشروع في قتال الحسين ، حتى لا تتحقق فرصة لمفاوضة يمكن أن يوجد من خلالها مخرج للموضوع ، سعياً من ابن زياد في التشديد على الحسينﷺ بكل سبيل .

كل هذا يدل على مدى تجبر هذا الأمير وعدم رعايته حق قرابة النبي ﷺ وحق صحبة الحسين ، فإن الحسين قد حاز على شرف القرابة والصحبة معاً ، وكل منزلة منهما تستدعي رعاية الأدب معه رضوان الله عليه .

ومما يوضح ما في هذا الوالي من الشر جرأته على قتل مسلم بن عقيل على تلك الهيئة الشنيعة ، مع أن مسلماً قد أمّنه الذين أرسلهم ابن زياد للقبض عليه ، خاصة وأن مسلماً من آل بيت النبي ﷺ ، فكان ينبغي أن يرقب فيه قرابته للنبي ﷺ ، كما قال أبو بكر الصديقﷺ (ارقبوا محمداً ﷺ في آل بيته ، والله لقرابةُ رسول الله ﷺ أحب إليّ أن أصل من قرابتي) رواه البخاري .

لكن من لم يرع قرابة الحسين فلن يرعى قرابة ابن عمه مسلم .

وهكذا يكون ولاة الجور والظلم ، لا يعرفون لذي فضل فضله ولا ينظرون إلا النظرة التي ترسخ في الناس الرعب والخوف منهم .

ويبقى في أمر ابن زياد موطنُ عبرة لابد من التنويه إليه ، وهو أنه ذاق الكأس المرة التي جرعها غيره في الدنيا ، فقد انتقم الله منه وأذاقه الرعب الذي أذاقه الناس ، ودخل في مذلة الهرب والاختفاء ، إلى أن قُتل بعد

سنين في نفس اليوم الذي قُتل فيه الحسين ﵁، وهو العاشر من المحرم ، والله عزيز ذو انتقام .

<u>الطرف الثالث</u> ممن يُوجّه لهم اللوم : يزيد بن معاوية ، فإنه وإن لعن ابن زياد وذمَّه ، وحلف أن ابن زياد لو كان بينه وبين الحسين قرابةٌ ورحمٌ لرعاها ، وحلف أيضاً أن ما عرضه الحسين من الحلول لو عُرض عليه لقبله . ومع ذلك كله يقال : إن يزيد بن معاوية لم يحاسب هذا الأمير السفيه المتغطرس ، ولم يشف صدور المسلمين منه ، جزاء تجبره وتعنته بأن يأمر يزيدُ بقتله أو سجنه ، بل لم يعاقبه يزيد ولو بمجرد عزله .

ولا شك أن هؤلاء الولاة الذين يكونون على البلدان يجب أن تكون جرائرهم وجرائمهم محل المحاسبة الدقيقة عند من يرأسونهم ، كما كان الحال زمن الخلفاء الراشدينن ، فقد كان الولاة يحسبون ألف حساب لتصرفاتهم مع أدنى رجل من الرعية .

فهذا عمر بن الخطاب﵁ لما اشتكى إليه أحد الرعية والياً جلده مائة سوط ظلماً استدعى عمرُ الوالي ، ثم طلب من ذلك المجلود أن يقتص من الوالي بجلده مائة سوط كما جلده ، فقال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين إن فعلت هذا يكثر عليك ، ويكونُ سنَّةً يأخذ بها من بعدك ، فقال عمر : أنا لا أقيد منه ، وقد رأيتُ رسول ﷺ يُقيد من نفسه ؟ فقال عمرو : دعنا فلنرضه (يعني نتفاهم مع هذا المجلود لنرضيه ، حتى يتنازل عن حقه) فقال عمر : دونكم فأرضوه ، فاتفقوا مع المجلود على ، إعطائه مقابل كل سوط دينارين اثنين ، أي أنهم أعطوه مبلغ مائتي دينار، وهو مبلغ كبير إذا علمت أن الدينار الواحد يعادل عشرة دراهم .

وقال عمر ﷺ: مَن ظَلَمه عامله (أي أميره) بمظلمة فلا إذن له عليّ ، ليرفعها إلي حتى أُقِصّه منه ، روى الخبرين ابن سعد .

فحرّض عمر ﷺ الرعية تحريضاً على أن لا يترددوا إذا ظلمهم ولاتهم بأي مظلمة ، حرضهم على رفع المظلمة إليه مباشرة ، حتى يقتص من الوالي ولو بجلده ، وذلك ليضع كل والٍ في ذهنه أن وراءه خليفة صارماً سيحاسبه على أي عقوبة يوقعها على رعيته بغير وجه حق .

فهكذا يصنع خلفاء العدل مع الولاة في أناس من أدنى الرعية ، فكيف إذا كان الوالي لم يقتصر على الجلد ، بل أمر بالقتل .

وقتْلُ مَن ؟

قتل رجل هو وأخوه سيدا شباب أهل الجنة ، وهما ريحانتا نبي الله ﷺ من الدنيا ، فهل يكفي في الانتقام من ذلك الوالي مجرد لعنه ، والحلف بأنه لم يقدم على ما أقدم عليه إلا لعدم قرابته من الحسين ؟!

فهذا كله لا يكفي ، مقابل ذلك الجرم العظيم ولا شك .

وقد نص أهل العلم على أن موقف يزيد هذا ليس بشيء ، وأنه لا يمكن أن يكون كافياً لمقابلة جريرة ابن زياد .

وقد سئل الإمام أحمد بن حنبل عن يزيد بن معاوية : أيُكتَب عنه الحديث ؟ فقال : لا ولا كرامة .

ولما قال عبد الله ابنه : إن قوماً يقولون : إنا نحب يزيد ؟ قال: هل يحب يزيد أحدٌ فيه خير ؟ فقيل له : فلماذا لا تلعنه ؟ فقال : ومتى رأيت أباك يلعن أحداً ؟

ولما ترجم ابن حجر ليزيد ، وذكر ما وقع في زمنه من قتل الحسين ، وما فعل جيشه بأهل المدينة في وقعة الحرة قال عن يزيد : ليس بأهل أن يُروَى عنه .

ومع ذلك فلندقق في موطن عبرة عجيب يتعلق بيزيد ، فإن الله تعالى زوى عن آل يزيد الخلافة ، فبعد أن أوصى يزيد لولده معاوية بن يزيد بالخلافة وافق ذلك مرض معاوية هذا فبقي مريضاً مدة إلى أن حضرته الوفاة فقيل له : ألا توصي ؟ قال : لا أتزود مرارتها إلى آخرتي ، وأترك حلاوتها لبني أمية ، وأبى أن يوصي لأحد من بعده .

وقد وُلد ليزيد خمسة عشر ابناً ذكرا ، وانقرضوا جميعاً ، فلم يبق له عقب .

وكان ذلك موطن عبرة عند الناس ، حتى عند بني أمية ، ولهذا فقد أرسل عبد الملك بن مروان إلى واليه على العراق الحجاج بن يوسف : إياك وبني هاشم أن تتعرض لهم ، فقد رأيت بني حرب لما تعرضوا للحسين أصابهم ما أصابهم .

ومراده ما حلَّ بيزيد وأهله ، فإن جد يزيد هو حربُ بن أمية.

ومن هنا لم يتعرض الحجاج مع غشمه وظلمه الذي طال كثيرا من الناس لم يتعرض لهاشمي ، بعد أن رأى بنو أمية ما حل بيزيد وآله من انقطاع عقبه ، بينما أبقى الله تعالى نسل الحسين ، رَغْم قتلهم أولاده الذين معه سوى علي زين العابدين وحده ، وتسلسل من نسلهﷺ إلى اليوم الألوف ، والله على كل شيء قدير .

الفقرة الرابعة : **في بيان استعظام الأمة ما وقع للحسين واستشناعها له** .

يحاول بعض الشيعة اليوم وقبل اليوم أن يُظِهر الأمة في صورة المتواطئة على الحسين المُقِرّة لقتله ويذكرون عند سردهم لخبر مقتل الحسين ما يُهيج سامعيهم على أمة الإسلام ، مع أن الأمة على أشد ما يكون من الإنكار لما حصل .

وقد اتضح بجلاء أن الذي تولى كبر هذا الجرم هم مُدعو نصرة الحسين من أهل الكوفة ومن لفَّ لفّهم ، أو رضي بقتل الحسين من أوباش الناصبة ، وحثالة الناس ، ممن لا اعتداد بهم في الأمة عبر تاريخها .

هذه حقيقة مُغَيَّبة عن كثير من عوام الشيعة ، تسبب في إخفائها شيوخهم الذين يحرِّضون على الأمة، لحقدهم على جمهور المسلمين عبر تاريخهم . وغرضهم من ذلك إيجاد ضغينة وغلٍّ عام على هذه الأمة ، لتُصرَف البغضاء عن أهلها المستحقين لها من مجرمي الكوفة .

واستنكارُ الأمة لما وقع للحسين حصل بالوقوف بشجاعة في وجه قاتليه ، كما فعل أنس بن مالك حين وضع ابن زياد القضيب على شفتي الحسين ، فأقسم أنس رضي الله عنه أن يسوءه في وجهه . وهو الوالي الظلوم الغشوم . وأخبره أن النبي ﷺ كان يقبل تلك الثنايا التي يضرب عليها ذلك الجلف بالقضيب ، وأمره أمام الناس أن يرفع قضيبه ، وكذلك فعل زيد بن أرقم رضي الله عنه ، ثم لم يملك زيد أن انفجر باكياً .

وقد يظن البعض أن هذا الصنيع من هذين الصحابيين سهل يسير ، وليس الأمر كذلك ، فإن ابن زياد غشوم ظلوم ، وقد يتسبب الجهر في وجهه بمثل هذا في قتل من جهر به ، وهو ما تهدد به ابنُ زياد الصحابيَّ الجليل زيد بن أرقم ، وزعم أن الذي يمنعه من قتله أنه يرى أنه في حكم المجانين ، مدّعياً أن زيداً أصابه الخرف فذهب عقله وإلا لقتله.

وقد قتل ابن زياد عبد الله بن عفيف الأزدي وصلبه حين جهر في وجهه بما ساءه بعد مقتل الحسين .

وقاد الصحابي الكريم سليمان بن صُرد عدداً من الناس للأخذ بثأر الحسين وقاتلوا قتالاً شديداً ، حتى استمكن عبيدالله بن زياد منهم ، وقتل سليمان بن

صردﷺ ، رغم أنه قد بلغ الثالثة والتسعين من عمره ، ولم يرعَ له صحبته للنبي ﷺ ولا شيبته وكبر سنه .

ولما قتل الحسين اشتد ابن الزبير على يزيد بمكة ، واجتمع عليه خلق من أهل مكة ، استعظاماً لما وقع على الحسين من المظلمة ، ثم إن أهل المدينة كاتبوا ابن الزبير ، وأخرجوا والي يزيد من المدينة فأرسل إليهم يزيد جيشاً بقيادة مسلم بن عقبة ، ففعل بأهل المدينة أبشع الأفاعيل ، وقتل من الصحابة وأبنائهم ن مقتلة عظيمة في وقعة الحرة ، ثم توجه الجيش إلى مكة لقتال ابن الزبير أيضاً فمات يزيد أثناء ذلك ، واستمرت الأحداث لاحقاً بقتال ضروس في مكة انتهى بمقتل ابن الزبير وصلبه مُنكَّساً واستيلاء الحجاج على مكة ، فكيف يقال : إن الأمة راضية بالذي وقع للحسين ، رغم هذه النكبات التي تلقتها ، والمواقف الصارمة في وجه من قتله .

ومن المواقف القوية التي وقفها الصحابة في وجه ابن زياد ما صنعه عبدالله بن مغفلﷺ ، فقد دخل ابن مغفل على ابن زياد وقال : انته عما أراك تصنع فإن شر الرعاء الحطمة ، فقال ابن زياد : وما أنت وذاك؟ إنما أنت من حثالة أصحاب محمد ، فقال ابن مغفل : وهل كان فيهم حثالة لا أمَّ لك.

ودخل عليه عائذ بن عمروﷺ عنه وحدثه أن النبي ﷺ قال : إن شر الرعاء الحطمة ، فإياك أن تكون منهم .

فرد عليه عبيد الله رد من لا يعرف قدر أصحاب النبي ﷺ حيث قال : اجلس ، فإنما أنت من نخالة أصحاب محمد ﷺ .

فقال عائذ : وهل كانت لهم نخالة ، إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم.

يعني من أمثالك ممن جاؤوا بعد أصحاب النبي ﷺ ممن لا يعرفون لأهل الفضل فضلهم ، وإنما يعرف الفضلَ لأهل الفضل أهلُ الفضل ، دون غيرهم من السقط والأراذل .

ولذا فإن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه لما مرض جاءه الأمير ابن زياد يعوده وقال : أتعهد إلينا شيئاً ؟

فأجابه جواب مبغض له مجاهر في وجهه بما يسوؤه ، حيث قال : لا تُصل عليّ ، ولا تقم على قبري .

فكانت وصيته أن لا يتولى ابن زياد الصلاة عليه إذا مات ، وأن لا يصحبه إذا ذُهِب به ليدفن .

وهذه المواقف من الصحابة الكرام ن توضح لكل غافل المدى الذي وصل إليه الصحابة رضي الله عنهم في مواجهة هذا الظالم ، وأنهم الجديرون بقول النبي ﷺ : " أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر " أو كما قال ﷺ .

ولكن كما قلت : هناك حقائق يتعمد المغرضون أن يُخفوها ويُغيّبوها ، حتى لا تتضح الصورة جلية للناس .

والعجيب أن الإنكار على هذا الظالم ابن زياد كان حتى من أخص أقاربه ، فقد عنَّفوه على ما صنع بالحسين رضي الله عنه ، فكانت مُرجانة وهي أم ابن زياد تقول له : يا خبيث ، قتلت ابن بنت رسول الله ﷺ ، لا ترى والله الجنة أبداً .

وقال له أخوه عثمان بن زياد: (لوددت والله أنه ليس من بني زياد رجل إلا وفي أنفه خِزَامة إلى يوم القيامة ، وإن حسيناً لم يقتل) وعبيد الله يسمعه ولا يرد عليه شيئاً .

والخزامة تجعل في ثقب أنف البعير ، يُشدّ بها الزمام .

ولما قتل الحسين جاء يحيى بن الحكم الأمويُّ ، وأنشد يزيد هذين البيتين مراغماً له ، حتى غضب ، وفيهما يقول مذكرا يزيد بقرابة الحسين منهما :

لهــامٌ بجنب الطّفِّ أدنى قرابـــةً من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل
سُميَّة أمسى نسلها عدد الحصى وليس لآل المصطفى اليوم من نسل

فضربه يزيد في صدره ، وقال له : اسكت .

ومراد يحيى بن الحكم بسُميَّه جدةُ عبيد الله بن زياد .

وقال يحيى هذا لما بلغه قتل الحسين : حُجبتم عن محمد ﷺ يوم القيامة ، لن أجامعكم على أمر أبداً ، ثم قام فانصرف .

والحاصل أن الأمة على أشد ما يكون من الاستنكار والاستشناع لما وقع للحسين رضي الله عنه ، والمواقف الدالة على هذا كثيرة يطول المقام بسردها ، وبه تتضح الحقيقة لمن غُرِّر بهم من الشيعة وأُوهِموا أن هذه الأمة قد رضيت قتل الحسين ! حتى حرّض بعض شيوخ الشيعة هذه الأيام على قتل صبيان المسلمين اليوم ، انتقاماً لمقتل صبي الحسين الذي كان في حجره . مع أن الذين قتلوا ذلك الصبي وقتلوا الحسين وقرابته هم المدّعون لنصرته المتَسمُّون بالتشيع له ، ممن تقدم أن الحسين دعا عليهم ربه أن ينتقم له وينتصر له منهم ، حيث دعوه لنصرته ثم تخلوا عنه وخذلوه ثم اشتركوا في قتله رضي الله عنه .

وبعد كل هذا تُقلب الأمور ، وتبدل الحقائق ، لتُظهَر الأمة الصادقة في حبها للحسين وآله بمظهر القاتل والمتواطئ ، وتُخفى عن الجهلة حقيقةُ من قتلوا الحسين ، ثم أظهروا العويل والبكاء عليه .

وخذ هذا الموقف الذي يزيد الأمور جلاء ، فإن عبيدالله بن زياد لما كتب لقائد جيشه عمر بن سعد كتاباً بقتل الحسين طالبه بعد أن رجع أن يعيد إليه الكتاب ، فادعى عمر بن سعد أن الكتاب قد ضاع ، فلم يُصدّقه ابن زياد ، وحلف أن يجيء بالكتاب ، فلما أصر قال عمر بن سعد تُرك والله يُقرأ على عجائز قريش ، أعْتذِر إليهن بالمدينة .

فاتضح أن عمر بن سعد أرسل ذلك الخطاب للمدينة ، ليُظِهر للناس هناك أن ابن زياد هو الذي حمله على ما فعل بالحسين .

فلماذا لم يفكر عمر بن سعد إلا في المدينة وأهلها ؟

السببُ علمه بموقع الحسين وحبّ الناس له هناك . أما الكوفة فكيف يعتذر لأهلها وهم الذين صحبوه في جيشه ، ليقتلوا الحسين معه ! فلم يفكر بأي اعتذار لهم ، لعلمه بحقيقة هؤلاء القوم .

بعد هذا نعرف أن من الفجور في الخصومة والكذب المتناهي في القبح أن توصم أمة محمد ﷺ بجرم قتل الحسين ، مع كل ما قدمنا من شدة إنكار الأمة على قتلته ، بل ونيلها من آثار هذا الإنكار أشد العقاب على يد من قتلوا الحسين.

فالله المستعان على هذا التزوير للحقائق الذي جعل الأمور مقلوبة على الطغام والرعاع .

واعلم أن عدداً من كتّاب الشيعة اليوم يعترفون في كتاباتهم بأن قتلة الحسين هم أهل الكوفة خاصة ، دون غيرهم من الناس ، فليت شعري على أي أساس يحرّضون أتباعهم على الأمة وقد اعترفوا بأن قتلة الحسين هم مُدَّعو التشيع له من أهل الكوفة ؟!

الفقرة الخامسة : **في تأمل أسماء من قُتلوا مع الحسين** .

ثمة حقيقة كبيرة تجلّيها لك أسماء من قُتلوا مع الحسينرضي الله عنه.

فأبناء علي الذين قتلوا ، منهم اثنان ، أحدهما يسمى (أبا بكر) ، والثاني يسمى (عثمان) ، وهناك ابن ثالث لعليّرضي الله عنه يسمى (عمر) ، لم يقتل معهم .

وبقية أسماء أبناء عليّ الذين قتلوا في هذه الحادثة ثلاثة ، سمّاهم علي بأسماء من يحبهم ويكرمهم من آل بيته ، وهم : (محمد الأصغر) ، سماه

عليّ باسم نبي الله محمد ﷺ ، والثاني من أبناء علي: (العباس) سماه علي باسم عمه العباس ، والثالث (جعفر) ، سماه باسم أخيه جعفر ، فعلى أي شيء يدل هذا ؟

لا شك أنه يدل على إجلال علي رضي الله عنه لهؤلاء الستة الذين سمى أبناءه عليهم ، بمن فيهم الخلفاء الراشدون ، لأنه سمَّى أبناءه بأسماء هؤلاء الخلفاء الثلاثة ، تماما كما سمى آخرين من أبنائه بأسماء ثلاثة يحبهم ويكرمهم من آل بيته ، بما لا يُشكّ معه أن تسمية علي أبناءه بأسماء هؤلاء الستة تسمية على من يحبهم من أقاربه وإخوانه في الله من الصحابةن ، وذلك دالٌ على موقع هؤلاء الخلفاء الثلاثة في قلب علي رضي الله عنه ، فاتضح بذلك حقيقة ما بين الصحب وآل بيت النبي ﷺ من كريم المودة وحُسْن التعامل ، وأن إظهارهم في صورة المتباغضين من الكذب البيّن ، وإلا فلماذا يسمي عليٌّ أبناءه بأسمائهم ؟

وهكذا الحسن قُتل له في هذه الواقعة ابن يسمى (أبا بكر) وتُرك ابن له آخر يسمى (عمر) ، لم يقتل ، لأنه صغير، وسبب تسمية الحسين لهذين الابنين بهذين الاسمين هو نفس السبب الذي لأجله سمَّى عليّ أبناءه الثلاثة بتلك الأسماء.

وأنت تعلم أن الابن إذا سُمي باسم أحد تعلق به منذ صغره ، وصار يَعِد أهله أن يكون مثل هذا الذي سُمّي عليه ، ببراءة الطفولة المعروفة .

ثم إن هذه الاسماء (أبا بكر) (عمر) (عثمان) ستظل تتردد في بيت علي آلاف المرات عند نداء هؤلاء الأبناء منذ صغرهم ، إلى أن يتوفاهم الله فهل يسمي عاقلٌ ابنه باسم أحد _ والأمر على كما ذكرت _ إلا إذا كان مُحباً لهذا الذي سَمَّى عليه ابنه؟

وثمة علاقات حميمة بين الصحب وآل بيت النبي ﷺ في عدد من الزيجات والمصاهرات التي كانت بينهم ، وفي تسمية الأبناء بأسماء الصحابة ونحو ذلك من الأمور الدالة على حسن العلاقة بينهم ، بما يُبين جانباً من أكذوبة وجود العداوة بين الصحابة وآل البيت ، وقد ذكرتُ أمثلة كثيرة على ذلك في المحاضرة التي أشرت إليها وموضوعها : آل البيت عند أهل السنة .

الفقرة السادسة : **في الواجب بعد قتل الحسين** .

اعلم أن ما وقع للحسين في نفسه وأهله هو مما يرفع الله به درجته ويعلي منزلته ، فقد أكرمه الله بالشهادة ، وربك تعالى يقول : (ويتخذ منكم شهداء)

والحسين ممن سبقت له السعادة من ربه ، وقضى الرب تعالى أن لا ينالها إلا بنوع من البلاء .

وسبيلُ الشهادة سبيل شريف أكرم الله به عليا _ أبا الحسين _ من قبله ، وأكرم الله به الخليفتين الراشدين قبله : عثمان وعمر رضي الله عن الجميع.

وقد ذكر الله في كتابه أن القتل ظلماً وقع حتى على الأنبياء ، الذين هم صفوة الناس وأفضلهم ، فرفع الله بقتلهم درجاتهم ، حيث نالوا هذه الشهادة.

قال تعالى عند ذكره لجرائم بني إسرائيل : (وقتلهم الأنبياء بغير حق)

إذاً فما وقع للحسين رضي الله عنه هو رفعة في درجته وعلوٌّ في منزلته عند ربه تعالى . هكذا ينبغي أن ينظر إلى الموضوع من جهة ما وقع للحسين رضي الله عنه.

أما بالنسبة للأمة فما وقع للحسين يعد مصيبة من المصائب التي لا شك فيها .

وقد بين الله في كتابه المنهج الذي يجب سلوكه عند المصائب فقال سبحانه **(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ**

وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) .

فبيّن تعالى ما الذي يفعله المؤمن عند المصائب ، وبيّن في الآيات المراد بالصابرين الذين شكر لهم صنيعهم سبحانه.

وقد روى أحمد عن فاطمة بنت الحسين _ وقد شهدت قتل أبيها _ روى عنها عن أبيها الحسين أن النبي ﷺ قال : " ما من مسلم يصاب بمصيبة ، فيذكر مصيبته وإن قدمت فيُحدِث لها استرجاعاً إلا أعطاه الله من الأجر مثل أجره يوم أصيب بها " .

أما ما يقع يوم العاشر من محرم من إظهار الجزع لمقتل الحسين ، بضرب الأجساد وشق الثياب ، والجهر بالصراخ والبكاء ، فكل هذا مضاد لما أمر الله به من الصبر في الآية التي ذكرنا .

واعلم أن أول من أنكر هذا ونهى عنه هو الحسين نفسه رضوان الله عليه ، فلله درُّه على ما بيَّن من الحق قبيل موته ، فإن أخته كما قدَّمنا لما أظهرت الجزع عليه قبل قتله قال لها : لا يُذهبن حلمَك الشيطان ، وأمرها بالصبر ، ونبهها إلى أن سبيله سبيل من ماتوا من أهله: أبيه وأمه وأخيه ، وبين أن الأسوة له ولهم ولكل مسلم برسول الله ﷺ ثم حرّج الحسين على أخته أن تفعل شيئاً كهذا عند موته .

فإذا كان هذا ما أمر به الحسين أخته _ ومصابها به أعظم من مصاب غيرها _ فكيف يُصنَع ذلك في يوم موته رضي الله عنه ، بدعوى حبه والحزن عليه .

ولما قُتل علي رضي الله عنه شهيداً مظلوماً على يد الغادر عبد الرحمن بن ملجم لم يصنع الحسنُ ولا الحسين ولا أحدٌ من خيار آل بيت النبي ﷺ شيئاً مما يظهره هؤلاء في يوم العاشر من محرم ، مع أن علياً أفضل من الحسين ،

رضـي الله عنهمـا جميعـا ، بـل قـد مـات مـن هـو أفضـل منهمـا ومـن جميـع الناس وهو رسول الله ﷺ . ولم يتخذ المسلمون يوم موته مأتماً ، مع أن المصاب بموت رسول الله ﷺ أعظم من كل مصاب .

وإنما بدأ إحداث هذا العويل والبكاء في دولة الفرس: بني بويه ، في حدود الأربعمائـة ، فكانـت النسـاء تخـرج فـي الأسـواق حافيـات حاسـراتٍ عـن وجوههن ، مع لطم الوجوه والصدور ، كما كانت تفعل نساء الجاهلية !

فأما خيار آل بيت النبي ﷺ فحاشاهم ثم حاشاهم أن يصنعوا مثل هذا .

وهكذا مما ينبغي أن يُستنكر ما يدّعى من أن السماء لما قتل الحسين احمرت وأمطرت دماً أحمر ، وأن الكواكب ضرب بعضها بعضاً ، ولم يُرفع حجر يومئذ إلا وجد تحته دم عبيط .

فكل هذا من الأكاذيب التي يَسْتجلب ناشروها بها السخرية بالإسلام وأهله من قِبل أعداء الإسلام ، من اليهود والنصارى والملاحدة ، فإن هذه الحكايات وأمثالها صارت محل سخرية بالمسلمين .

وقد مات أشرف بني آدم ﷺ على الإطلاق ولم يقع شيء من هذا .

وكما يستنكر أهل السنة على الشيعة هذه المبالغة في إظهار الحزن ، وترك لزوم ما أوجب الله من الصبر ، فإن أهل السنة يستنكرون على النواصب الأراذل الذين لا يَسْتَحون ، يستنكرون عليهم بدعتهم المقابلة ، بجعلهم يوم العاشر من المحرم يوم عيد يصنعون فيه أنواع الأطعمة ، ويتطيبون ويلبسون أحسن الثياب ، ويظهرون السرور والفرح .

فهذا عند أهل السنة من أقبح البدع ، وفاعلُه يستحق عليه النكال البليغ والأدب الوجيع ، بما اخترعه من البدع المضلة .

وإذا كان الراضي بقتل الحسين رضي الله عنه له نصيب من الجريمة ، فكيف بمن يظهرُ الفرح بذلك ويعلنه على الملأ ، ويجعل ذلك اليوم عيداً ، مع أنه ليس في الإسلام إلا عيدان لا ثالث لهما .

فالناصبي حريّ والله بالعقاب الموجع الذي يردعه عن وقاحته وجهره بمنكره.

وهذا اللون من التعصب على الحسين رضي الله عنه يقابل به الزائغون من النواصب مظاهر الحزن التي سلف ذكرها عند الشيعة .

وأهل السنة يبرؤون إلى الله من بدعة الفريقين معاً ، وينكرون على من خالف الحق ، سواء ممن غلا في الحسين ، أو ممن جفا .

وهل أضر بالأمة إلا أهلُ الإفراط والتفريط ، بمعانداتهم ومناكداتهم التي جانبوا بها الحق المبين ، وفرقوا بها هذه الأمة ، حتى أوهنوا جماعتها ، وضللوا فئاماً كثيرا من رجالها ونسائها .

فاللهم أبرم لهذه الأمة أمراً رشداً تسلك فيه مسلك سلفها الصالح من صحابة نبيها وآل بيته الكرام البررة رضي الله عنهم أجمعين ، اللهم اجمعنا بهم جميعا في دار كرامتك ، واسلك بنا على هديهم .

والله تعالى أعلم . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

ألقيت المحاضرة بمسجد النخيل في يوم الثلاثاء ١٤٣٣/١٢/٢١هـ

<u>من مراجع المحاضرة:</u>

١/ صحيح البخاري

٢/ صحيح مسلم

٣/ مسند الامام أحمد

٤/البداية والنهاية لابن كثير

٥/ سير أعلام النبلاء للذهبي

٦/ طبقات ابن سعد

٧/ الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر

٨/ تاريخ الطبري

٩/ منهاج السنة لابن تيمية

١٠/ محاضرة أهل البيت عند أهل السنة للمحاضر نفسه